

روح المعاني

المعروف وشاع في ذلك وتجوز به عن النهار بقرينة المقابلة وقيل الكلام على حذف مضاف أي ضحى شمسها أي ضوء شمسها وكني بذلك عن النهار والأول أقرب وعبر عن النهار بالضحى لأنه أشرف أوقاته وأطيبها وفيه من انتعاش الأرواح ما ليس في سائرهما فكان أوفق لمقام تذكير الحجة على منكري البعث وإعادة الأرواح إلى أبدانها وقيل إنه لذلك كان أحق بالذكر في مقام المتنان وإضافة الليل والضحى إلى السماء لأنهما يحدثان بسبب غروب الشمس وطلوعها وهي سماوية أو وهما إنما يحصلان بسبب حركتها على القول بحركتها لاتحادها مع الفلك أو هما إنما يحصلان بسبب حركة الشمس في فلكها فيها على القول بأن السماء والفلك متغايران والمتحرك إنما هو الكوكب في الفلك كما يقتضيه ظاهر قوله تعالى كل في فلك يسبحون وإن الفلك ليس إلا مجرى الكوكب في السماء وقيل أضيفا إليها لأنهما أول ما يظهران منها إذ أول الليل بإقبال الظلام من جهة المشرق وأول النهار بطلوع الفجر وإقبال الضياء منه وفي الكشف أضيف الليل والشمس إلى السماء لأن الليل ظلها والشمس هي السراج المثقب في جوها واعترض بأن الليل ظل الأرض وأجيب بأنه اعتبار بمرأى الناظر كذلك كما أن زينة السماء الدنيا أيضا اعتبار بمرأى الناظر وقيل إصافتهما إليها باعتبار أنهما إنما يحدثان تحتها وشملا بهذا الاعتبار ما لم يكدر يخطر في أذهان العرب من ليل ونهار طول كل منهما ستة أشهر وهما ليل ونهار عرض تسعين حيث الدور رحوى وتعقب بأنهم قالوا إن ظل الأرض المخروطي ينتهي إلى فلك الزهرة وهي في السماء الثالثة فالحصر غير تام وفيه نظر فتأمل وبالجملة الأضافة لأدنى ملابسة والأرض بعد ذلك الظاهر أنه إشارة إلى ما تقدم من خلق السماء وإغطاش الليل وأخراج النهار دون خلق السماء فقط وانتصاب الأرض بمضمر قيل على شريطة التفسير وقيل تقديره تذكر أو تدبر أو اذكر وستعلم ما في ذلك إن شاء الله تعالى ومعنى قوله تعالى دحاها بسطها ومدّها لسكنى أهلها وتقلبهم في أقطارها من ادحو أو الدحي بمعنى البسط وعليه قول أمية بن أبي الصلت وبث الخلق فيها إذ دحاها .

فهم قطانها حتى التنادي وقيل دحاها سواها وأنشدوا قول زيد بن عمرو بن نفيل وأسلمت وجهي لمن أسلمت .

له الأرض تحمل صخرا ثقالا دحاها فلما استوت شدها .

بأيّد وأرسى عليها الجبالا والأكثرين على الأول وأنشد الإمام بيت زيد فيه والظاهر أن دحوها بعد خلقها وقيل مع خلقها فالمراد خلقها مدحوة وروي الأول عن ابن عباس ودفع به توهم تعارض بين آيتين أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عنه أن رجلا قال له آيتان في كتاب

اﻟﻌﺎﻟﻰ ﺗﺨﺎﻟﻒ ﺇﺣﺪﻫﻤﺎ ﺍﻟﺄﺧﺮﻯ ﻓﻘﺎﻝ ﺇﻧﻤﺎ ﺃﺗﻴﺖ ﻣﻦ ﻗﺒﻞ ﺭﺃﻳﻚ ﺍﻗﺮﺃ ﻗﺎﻝ ﻗﻞ ﺃﻧﻨﻜﻢ ﻟﺘﻜﻔﺮﻭﻥ
ﺑﺎﻟﺬﻯ ﺧﻠﻖ ﺍﻟﺄﺭﺽ ﻓﻲ ﻳﻮﻣﻴﻦ ﺣﺘﻰ ﺑﻠﻎ ﺗﻢ ﺍﺳﺘﻮﻯ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﺴﻤﺎﺀ ﻭﻗﻮﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻭﺍﻟﺄﺭﺽ ﺑﻌﺪ ﺫﻟﻚ ﺩﺣﺎﻫﺎ
ﻗﺎﻝ ﺧﻠﻖ ﺍﻟﻌﺎﻟﻰ ﺍﻟﺄﺭﺽ ﻗﺒﻞ ﺃﻥ ﻳﺨﻠﻖ ﺍﻟﺴﻤﺎﺀ ﺗﻢ ﺧﻠﻖ ﺍﻟﺴﻤﺎﺀ ﺗﻢ ﺩﺣﺎ ﺍﻟﺄﺭﺽ ﺑﻌﺪ ﻣﺎ ﺧﻠﻖ
ﺍﻟﺴﻤﺎﺀ ﻭﺇﻧﻤﺎ ﻗﻮﻟﻪ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ ﺩﺣﺎﻫﺎ ﺑﺴﻄﻬﺎ ﻭﺗﻌﻘﺒﻪ ﺍﻟﺒﺎﺭﺃ ﺑﺎﻥ ﺍﻟﺠﺴﻢ ﺍﻟﻌﻈﻴﻢ ﻳﻜﻮﻥ ﻇﺎﻫﺮﻩ
ﻛﺎﻟﺴﻄﺢ ﺍﻟﻤﺴﺘﻮﻯ ﻭﻳﺴﺘﺤﻴﻞ ﺃﻥ ﻳﻜﻮﻥ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﺠﺴﻢ ﺍﻟﻌﻈﻴﻢ ﻣﺨﻠﻮﻗﺎ ﻭﻻ ﻳﻜﻮﻥ ﻇﺎﻫﺮﻩ ﻣﺪﺣﻮﺍ ﻣﺒﺴﻮﻁﺎ
ﻭﺃﺟﻴﺐ ﺃﻧﻪ ﻟﻌﻞ ﻣﺮﺍﺩ ﺍﻟﻘﺎﺋﻞ ﺑﺨﻠﻘﻬﺎ ﺃﻭﻻ ﺗﻢ ﺩﺣﻮﻫﺎ ﺗﺎﻧﻴﺎ ﻣﺎﺩﺗﻬﺎ ﺃﻭﻻ ﺗﻢ ﺗﺮﻛﻴﺒﻬﺎ ﻭﺇﻇﻬﺎﺭﻫﺎ
ﻋﻠﻰ ﻫﺬﻩ ﺍﻟﺼﻮﺭﻩ ﻭﺍﻟﺸﻜﻞ ﻣﺪﺣﻮﻩ ﻣﺒﺴﻮﻁﻪ ﻭﻫﺬﺍ ﻛﻤﺎ ﻗﻴﻞ ﻓﻲ ﻗﻮﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﺗﻢ ﺍﺳﺘﻮﻯ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﺴﻤﺎﺀ
ﻭﻫﻲ ﺩﺧﺎﻥ ﻓﺴﻮﺍﻫﻦ ﺳﺒﻊ ﺳﻤﺎﻭﺍﺕ ﺇﻥ ﺍﻟﺴﻤﺎﺀ ﺧﻠﻘﺖ ﻣﺎﺩﺗﻬﺎ ﺃﻭﻻ ﺗﻢ ﺳﻮﻳﺖ ﻭﺃﻇﻬﺮﺗ ﻋﻠﻰ ﺻﻮﺭﺗﻬﺎ
ﺍﻟﻴﻮﻡ ﻭﻋﻦ ﺍﻟﺤﺴﻦ ﻣﺎ ﻳﺪﻝ ﻋﻠﻰ ﺃﻧﻬﺎ ﻛﺎﻧﺖ ﻳﻮﻡ ﺧﻠﻘﺖ ﻗﺒﻞ ﺍﻟﺪﺣﻮ ﻛﻬﻴﺌﺔ ﺍﻟﻔﻬﺮ ﻭﻳﺸﻌﺮ ﺑﺎﻧﻬﺎ ﻟﻢ
ﺗﻜﻦ ﻋﻠﻰ ﻋﻈﻤﻬﺎ ﺍﻟﻴﻮﻡ ﻭﺗﻌﻘﺒﻪ ﺑﻌﻀﻬﻢ ﺑﺸﻴﺌ ﺃﺧﺮ ﻭﻫﻮ ﺃﻧﻪ ﻳﺎﺑﻰ ﺫﻟﻚ ﻗﻮﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﺧﻠﻖ ﻟﻜﻢ ﻣﺎ ﻓﻲ
ﺍﻟﺄﺭﺽ